هندسة الاجتهاد المقاصدي ومعادلاته الاستراتيجية : دراسة فى جامعية الأمة

أ.د.سيف الدين عبد الفتاح

أستاذ بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية

المنسق التنفيذى لبرنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات

مقدمة لابد منها :

في واقع الأمر أنه حينما طلب منا البحث في موضوع يتعلق بتجديد الخطاب الديني ، وحالته لتحقيق جامعية الأمة والبحث في وعن التداعيات السياسية المرتبطة بذلك في إطار يقارن بين الخبرة المصرية والإيرانية ،إنما يحيلنا إلى منهج النظر والتعامل والتناول مع هذه القضية فنتوقف عند حرفية العنوان ونحاول أن ندخل له من مداخل جزئية هنا وهناك ، ولكننا آثرنا أن نؤكد على أن المدخل الكلي هو من أهم المداخل الذي يمكن أن تنضبط داخله الجزئيات وتسكن من غير قلق أو اضطراب .

ومن هنا فإن الناظر في الخبرة المصرية والإيرانية وتحويلهما إلى عمل اقتراني إنما يشير ومن كل طريق إلى ذاكرة التقريب التي كانت واحدة من المداخل لتحقيق جامعية الأمة واعتصامها بين السنة والشيعة ، هذا الاقتران جعلنا نحاول أن ننعش هذه الذاكرة ولكن على مستوى منهاجي رصين ومن مدخل كلي مبين ، ومن هنا كان من الضروري أن نجعل هدف هذه المقالة الاهتمام بشأن البناء الحضاري وهندسة الاجتهاد المقاصدي ومعادلاته السننية الاستراتيجية وأصوله العمرانية والحضارية بما يؤسس رؤية في تجديد جامعية الأمة ، فنقترح مداخل وأدوات تحدد المنهج في كليته سواء أكان منهج نظر أو منهج تناول أو منهج تعامل .

ذلك أن الخروج من حال الاختلاف غلى فن الائتلاف في إطار الموافقات الكبرى في سياق اعتصام الأمة وتماسكها ذلك المشروع الحضاري الذي يعتبر من أوجب الواجبات وذلك للتعامل مع جملة التحديات وتقويم عالم الاستجابات وبناء وتأسيس الاستراتيجيات . ومن هنا كان ذلك المدخل الكلي الهادف إلى الألفة الجامعة للتمكين لكل أمر يؤدي إلى جامعية هذه الأمة وفاعليتها

إذا كان الشاطبي في موافقاته قد قام بعملية التأصيل العام ، فكيف يمكن القيام بعملية التأصيل الخاص ضمن مسيرة الشاطبي (–) أو قفزا عليها.

إن التأصيل إذا لم يلحق بتفعيل وتشغيل ظللنا على أهميته تلك نراوح في المكان لا نمارس عملية الاجتهاد الحقيقي ، فإن معرفة المتحصل من لدن عمل الشاطبي في موافقاته والوعي بأصوله وعمله وهدفه إنما يتحرك صوب عناصر مهمة ، بعد مهمة الوعي التأصيلي والتفصيلي بالمخرج من عمله .

هذا الوعي التأصيلي يحتاج مع الأصل وصل ابتنائي قادر على استكناه الأصول وتفريعاتها ، والأصول ومولداتها ، والجذر وفروعه وثمره وأوراقه ، وعناصر شبكيته ونسج خيوطه في إطار جامع يشد بعضه بعضا . ضمن سياقات منظومية (بنائية) و(عضوية) و(تراتبية) (وتوليدية) و(تفريعية) و(المتطلبات) السابقة عليها ، (والابتناءات) المتطلبة منها و(الآليات والوسائل والأدوات) الموصلة إلى كل ذلك في سياق منظومي فتكتمل حلقة أخرى من عناصر الاجتهاد المقاصدي ألا وهو (الاجتهاد المنظومي) بكل مقتضياته وتكويناته وغاياته موصول غير مفصول ، متمايز غير منقطع ، منجب ومولد غير ممتنع ، ولود لا عقيم . وهو اجتهاد تصوري لما وقع بين أيدينا من جهد تأصيلي وتواصلي .

الاجتهاد المنظومي يقوم على قاعدة ممكنة تحرك معاني العلاقات والتربيطات والتشبيكات ، فهو لا يرى الأمور إلا منظوميا ، يتحرك ضمن منظومة ، تساند في عناصرها ، تتماسك في بنائها ، تتكامل في معانيها ، تتكافل في مغازيها ، تتواصل فيما بين أسسها وقوائمها .

والمنظومة تسكين واندراج يجب أن نتبصر قواعده ومقاصده . وكذلك فهي تحريك تتفاعل فيه العناصر بين أخذ وعطاء ، بين تبادل حميم لا ذميم ، رحيم لا رجيم . فالتسكين تساكن والحركة فاعلية وبركة في المضمون والنتاج والمحصلة .

والتفكير المنظومي تراتب وأولويات ، حقائق وموازين ، قدرات وإمكانيات ، أشكال وعلاقات . وهو بهذا المعنى يقدم قواعد التصاعد والتنازل في سلم تراتبي يضمن فاعلية عناصره ، وتمكين أسسه وقوائمه .

والتفكير المنظومي نسق وتنسيق وسياق ، يقوم بعملية تنظيم للمفردات فيضعها كل في موضعه ، ضمن عدل النظام وتراتبه ، فكل موضوع بقدر ، في موضعه متسقا . والتفكير المنظومي معمار وهندسة ، حينما يتكامل البناء فإنه يكون عصيا على الهدم أو النقض ، كما انه في تماسكه لا يقبل التفسيخ المتعسف أو المصطنع .

فإذا فرغنا من كافة التفكير المنظومي واتفقنا على ما يولده من رؤية وتصور وإدراك ، استقر ذلك في الفهم والفعل وصار فقها عميقا لا بد أن يكتب ويدرس ويعلم ويدرب عليه ألا وهو أصول الفقه المنظومي الجامع والضام والكاشف والفارق المميز ، والواصل في سياق متوالية من المنظومات فإذا به "كلي" في تأصيله المنظومي "جزئي" و"فرعي" في إطار وصله بأصول منظومات أخرى تصون ولا تبدد، تجتهد وتجدد، تؤصل ولا تقلد، تيسر ولا تشدد ، توسع الأفق والمجال رحبا وتمدد ، تقارب وتسدد ، وتمارس كل ذلك في تنوع وتعدد ، وهي بذلك موصوله بالتراث تقف على مناهجه أكثر مما تذكر المسائل المتعلقة به وتردد.

هذا الفقه المنظومي هو القراءة الواعية البصيرة المتراكمة ، الرافعة الدافعة ، الحاضنة الحافظة ، تقرأ الشريعة كالجملة الواحدة ، فتفيض الشريعة بما تحوي ،وتستكنه مكامنها فتعطي ، وتجمع وتضم وتتفاعل عناصرها فتقوى وتشد من بعضها بعضا ، وتتداعى لها سائر عناصرها بالسهر والحمى .

العلاقة بين الكلي والجزئي ، وبين الاصل والفرع عمليات منهجية تتضمن حقيقة تسكين الجزئي في كلييه وعقد الصلة والنسب بين الأصل والفرع ضمن عملية تسكين وتنسيب ، يُرد فيه الفرع إلى الأصل ردا جميلا رحيما ، مستقرا ومكينا من دون افتعال أو انفعال او اصطناع أو تعسف وعسف . ومن ثم فهى منظومة بيان ومنظومية افعال تصل النظرية بالتطبيق، والعلم بالعمل ،والفكر بالحركة ، وما استطاعت إلى ذلك سبيلا .

وهي لا تنظر إلى منظومة الآخرة كمنظومة منفصلة عن منظومة الحياة ، وإنما هي منظومة الحياة الآخرة (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنسى نصيبك من الدنيا) ، (الدنيا مزرعة الآخرة) الأخرة المحرك الدائم للإنسان وعيا وسعيا في حياته ودنياه ومعاشه .

ويكون هذا الوصل في سياقات ما أمر الله به أن يوصل ضمن كدح إنساني حضاري متواصل يحركه الاختبار الدائم والابتلاء المستمر حتى الفتنة العظيمة التي تدرب النفوس على أن تكون سامية راقية عزيزة "أحسب الناس أن يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون " .

فإذا فرغنا من هذا الفقه المنظومي وجب علينا أن نبتني منظومات فرعية في االمجالات التخصصية المختلفة فنحدد من أنساق كلياتها ونجدد من أنساق تطبيقاتها ونعلل من أنساق قيمها ، ونفعل في أنساق وسياقات وسطها وبيئتها ومناطها .

فتخرج هندسة مهمة مبنية على سابق منوال او مثال paradigm (نموذج) ، تبنيه موصولا متأصلا ، بين أصل ووصل فتعرف له قيمته ومقامه ، ومرتبته ومكانه ، وأصول تفعيله في ميدانه ومقامه .

هذا "الفقه العمراني" لتأصيل بناء على منوال في المجال التخصصي هو عنوان لوظيفة اجتهادية اخرى بهندسة معمار التخصصات والفروع والحقول والميادين والمجالات المعرفية مؤصلة في ذاتها موصولة بتعبيرها في" علوم الأمة " أو " علوم العمران " تتكافل حيث يجب ، وتتكامل وتتداعى حيث وجب هذا الفقه في هندسة الفروع والتخصصات عمل متراكم تقوم عليه جماعية علمية متكاملة وفريق بحثي ممتد ومتنوع بتنوع إشكالات الفروع وميادينها وتعدد المسائل والقضايا . فإذا بهذا الاجتهاد العمراني ، يتواءم مع حركة هذه العلوم وتكاملها ذلك أن شجرة المعارف والتخصصات تعبر عن شجرة واحدة ذات فروع متنوعة ومتعددة ، تعطي من ثمرها ولكل من تكويناتها وظائفها المخصوصة التى تجعل الشجرةمكينة الجذور طيبة الثمار .

علوم اجتماع وإنسان ينظم بينهما العمران هدفا لعمارة هذا الاجتماع الانساني بكل ما يحفز تكوينه وتماسكه وبنائه والوصول به إلى غاياته ومقاصده .

وعلوم اجتماع وإنسان وشريعة تنظم بينها الأمة فتجعلها قبلتها وبوصلتها ووجهتها لا تنقطع عنها ولا تمتنع عن معاني الفاعلية فيها والارتقاء بها والنهوض بكيانها وتجديد عمارتها وعمرانها .

علوم بعضها من بعض من مشكاة واحدة تنشد إلى اصول واحدة ومقاصد حافظة وحاضنة ومرجعية كلية لا تقبل التجزيئ أو التشطير أو التفسيخ ، هذا هو معنى العمران المنتج للحضارة بكل عناصرها وأعمدتها وتنوعها فتحفظه وترعاه متجنبه أي عوامل تتسرب غليه فتفسده أو تقضي عليه بالخراب ، وتظل أصول مجالات المقاصد تشكل إمكانية لأعمدة العمران البشري الحضاري وأصول يقام عليها العمران ، وهي في ذات الوقت تشكل معايير لتصنيف العلوم وتربطها بها (علوم الدين / النفس / النسل / العقل / المال /...) .

هذا التصنيف للعلوم المختلفة إنما يتطلب نوعا من الاجتهاد العمراني يقدم أعمدة وهندسة وأساسات البنيان باقتدار ، ثم يعلو العمران ما أراد على أساس مكين ، وتفكير وتدبير رصين .

يُبنى عليه فلا يتهدم ، ويبتنى عليه فيشتد ، ويراكم فوقه فيعلو سامقا لا تطاولا في البنيان ، وإنما تمكنا في هندسة وعمارة وعمران .

حافظا لأصل الكيان ، ممكنا في المكان ، مؤسسا في العمران ، جامعا في كل ذلك أصول البناء والبنيان . هادفا إلى حياة طيبة في مواجهة المعيشة الضنك في معاش الإنسان .

فإن تنزيل أصول المقاصد الكلية العامة من أول درجات هذا الفقه العمراني الهندسي في الفروع بل هو بمثابة الأعمدة والعمران المؤسسة لكل هندسة بنيان مراعية أصول الأمن والأمان .

هذا التنزيل في تفعيله وتفاعله يحرك النموذج المقاصدي في "أفق" متجدد ، ومساحة "متمايزة" يتحرك الإنسان فيه مؤصلا وموصلا في آن لا ينسى أصل "الأصل" في "الوصل" الذي يتحرك على قاعدة أنه لا وصل إلا بأصل وأساس وتأصيل .

ومن هنا يكون الابتناء وفق أصول مرعية ووصل واتصال وتواصل ووصول إلى غاية ومقصد ..

فيكون ذلك من ليس بالبناء الجديد ، ولكنه ليس بالبناء النموذج في كل أمره . ولكنه مؤسس على قواعده وأعمدته ." صنوان وغير صنوان ، يسقى بماء واحد " ولله در ، فإنه من معاني الشريعة بل وأصلها مورد الماء الذي لا ينضب ، ومن الواجب ألا

يهدر أو ينحرف عن مصبه ،وأن يتحرك كل من ارتبط به مصلحة ومنفعة ، لصيانته وحمايته واستثماره وتعظيم منفعته ، وتقديم عطاءاته وتكثير وتعظيم فائدته . فكيف نشرع بالتعامل مع شريعة الماء ومواردها :صيانة وحفظا ، رعاية وتفقدا ، حماية وأمنا ، اجتهادا وتجددا ، تفاعلا وتفعيلا وتشغيلا . فإن لم تعطي هذه الشرعة "ظاهرا" في ناسها والمتبعين لها والمرتبطين بمواردها ، فإن هذا ليس من تقصيرها أو تصورها ، بل تصور هؤلاء الذين كانوا ..وربما مازالوا "قوما بورا" ففقدوا الأصل حينما افتقدوا فن الوصل والاتصال والوصول .

ويتضمن كل ذلك خطة الاجتهاد التفصيلي في الفروع ومقتضيات اجتهاده في إطار فكرة الإنسان المتكاملة والوعي بالمقارنة بالأنساق المتقابلة بحيث تنفتح عناصر الدراسة والاجتهاد من خلال المقارنة المنهجية المتعمقة القادرة على تحديد العطاءات المتنوعة من جانب ، والمقارنة المفضية لتكوين العقلية الكاشفة الفارقة الثاقبة الفاقدة المقومة بحيث تصير هذه العقليات جميعا مدخلا لتأسيس العقلية البانية فترسي للبنيان قواعده وللبيان مناهجه .

المقارنة واحدة من أدوات ترسيخ هذا هذا العقل الاجتهادي والوقوف على التفاصيل استنادا إلى عموم الثوابت وثوابت العموم أمر يستأ

هل بدوره اجتهاد مستمر لا يقف عند حدود الكليات فلا يوظف كأسس وأساس لبنيان ومعمار ، فيكون بناء الاساس دون كامل البنيان للقيام بوظائفه في حماية الناس وتحقيق امنهم وسكنهم وسكينتهم .

والاهتمام بالفروع أو الجزئيات لا يكون بحال على حساب الكليات أو يكر على الأصل بالنفي والنقص والبطلان ، فالكليات هي القاضية على الجزئيات والفروع تلحق بالأصول وهي بهذا المعنى حاكمة ..إلا أن التفاصيل هي بمثابة مقدمات الواجب والآليات الموصلة والواصلة .

ومن هنا كانت خطة الاتجاه التفصيلي أقرب بالصلة بين وضع الاستراتيجيات الكلية والخطط واالآليات التنفيذية منظومة بناظم وموصولة بواصل ويضمها ضام في نسيج يمكنها من عناصر قوتها وأدائها لوظائفها .

ومن هنا فإن هذا العمل الموزون في طبيعته وألياته ومقاصده من حركة اجتهادية عمرانية هندسية إذ تتجه إلى الميادين والفروع والأصول فغنها لا تتخذ الفقه الفروعي منهجا أو ديدنا ، بل هي تعلم فن إلحاق الفرع بالأصل والجزئي بالكلي في إطار فقه منظومي ، يعرف للأصل معناه ومغزاه ، ويعرف للفرع مبناه ومعناه فتأتي الفروع على شاكلة الأصل من مورده ولكنها تختلف وتتمايز رغم أنها تسقى بماء واحد ومن شرعة ماء واحدة ممتدة لا مقطوعة ولا ممنوعة في أدائها أو عطائها أو مسيرتها ومسارها .

إنه "الفقه المنظومي" الذي يحرك طاقات الوصل مع الأصل في عمل مستمر ومستقر .

وبين الأصل والوصل والاتصال والتوصيل والتشبيك والوسائط الواصلة يأتي الاجتهاد العملياتي ، فيرى الأمور في ثوبها العملياتي ناهضا بتفكير يصل بين المسائل والوسائل ، والمقال والمثال ، والحال والمحال ، وإدراك معاني الاضطراد والاستقرار والاستمرار والتجدد والتعدد ومراعاة التمدد والتعقد . فتأتي العمليات خطوات ومراحل ، وخطة ووسائل ، وقدرة وبدائل يصل الأداة بالأداء، والآلية بالتسيير ، والإجراء بالتطبيق ، والحركة بالتدبر والتدبير ، والوسط بالوسائط .

فتقدم العملية موصولة "بمتصل" يبدأ بالتأسيس وينتهي بالغاية وصلا للمرجعية بالرجعى ، مرجعية الاساس ورجعى الاستقبال . وتتحرك العملية بمنظومة من المسائل ، ونسق من الوسائل ،يتحرك صوب تعديل المائل ، وإزالة الحائل ، وتمهيد الطرق للسير والمسيرة والمسير الهائل ، والوعي بالقابليات والقابل ، وموافقة المقال للمقول والقائل ووصل بين الحشد والوعى ، واتصال بين الوعي والسعي ، فترشد الحركة والممارسة وتستثمر التأصيل والمدارسة ، وتحرك عناصر المؤسسية والمداومة (فمن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل) فالنوع القليل المتراكم خير من المنقطع الكثير المتناثر ، والعمليات صنوف وانواع بين التهيئة والإعداد والاستعداد وبين الإرادة والفعل والعزم ومن أراد الاستعداد طلب الاستمداد رغبة في الوصول والقبول والعمليات حركات ، وأبنية ومؤسسات وقواعد وإجراءات ووسائل وآليات ، وإمكانات وقدرات ، ومسهلات وعقبات (فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما

العقبة) ، وأحوال وضغوطات وتغيير وتجديد ومآلات ..فكل ذلك عملية من المهد إلى اللحد ، ومن الميلاد إلى المنية مسيرة الحياة الموصولة بين الزرع في دنيا الناس وصولا لرضا الآخرة ، فيصير اليوم الآخر المحرك الدائم للإنسان والإنسانية .

وهي عمل موصول بين قيام القيامة ، وقيام بالعمل والسعي إذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها .. بين الغرس الدائم وتفريع العمليات والوعي بجزئيات توصل العمليات بالمناطات ، والجزئيات بالكليات والجميع بالمقاصد والغايات ، اجتهاد الوقت من فروض الوقت ومن الحكمة الذهبية التراثية أنه لا يؤخر البيان عن وقت الحاجة وفقه البيان من الأفقاه المغيبة أو الغائبة ، ولا فقه بيان إلا بأصول و"بينات" وبين البيان والبينات وصل واتصال وأصل بجذر اللغة وكأن بوظيفة البيان من الوعي بالبينات الواضحات وهذه سورة "البينة" تحرك كل عناصر البينة في الإيمان والاعتقاد والفكر والنظر ، والحركة والسلوك في أنساق تتحرك صوب معاني الشريعة التي هي :.

حكمة كلها في باب الأنساق المعرفية

وعدل كلها في باب الأنساق القيمية

ورحمة كلها في باب الأنساق السلوكية

ومصلحة كلها في باب الأنساق الغائية والمقاصدية .

على ما يؤكد ابن القيم

وبين معاني هذه الشريعة الموضحة لأنساقها يأتي الاجتهاد الواصل بين الواجب والواقع فلابد من أن يعطي الواجب حقه من الواقع ، ولابد من أن يعطي الواقع حقه من الواجب فيتبادلان العطاء والصلة بحبل من الله وحبل من الناس .

إنها أنواع من الفقه تتكامل فقه في الحوادث الكلية وفقه في الجزئيات أو تصفح أحوال نفس الواقع فتولد (فقه الحال ، وفقه الواقع ، وفقه المجال ، وفقه المآل والاستقبال ..) وتحرك أنواع من الفقه لا تحيلنا إلى معاني الفقه الاصطلاحي ، ولكن المعاني اللغوية المتعلقة بالفقه الدقيق والفهم العميق والتدبر المنظم ، فتكون مجموع هذه العمليات الوعي اللازم بكل هذه الأمور لتكون مقدمة لسعي ناجح ومؤثر يحاول الربط بين فقه الإمكانات وفقه الممكنات ، وفقه المكنونات ، وفقه المكان والفضاءات

، وفقه الأهليات والمكنات ، وفقه المكانة ، كل ذلك قاصدا إلى فقه التأثير الواجب وعمليات التمكين الحضاري المأمول والمنشود في ضوء حقائق الشهود . المستند إلى خيرية الأمة ومعاني وحقائق وسطيتها " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ..."

لأن الفقه أو شروط الفاعلية والفهم العميق أو حقائق الوعي ، والوعي مقدمة للسعي .

فإن الناس حينما يفهمون فعل العبادة بأنه أداء وحركات فقط لا ترتبط بمعاملات ومعاش الناس فإنهم يخطأون .

وإذا جف اتصال الناس ووصلهم بمعنى العبادة الكلي وتحرك الناس في شكل تفاعل وصورة فعل ووهم فاعلية ، فصارت العبادة أشكال ورسوم وأداء وطقوس "وشعائر" خالية من المشاعر ، ومبان خالية من المعاني والمغازي ، لا تحرك نفسا أو تحييها ، ونسى هؤلاء أو تغافلوا وهم يبحثون عن خلاصهم الفردي بالأداء العبادي عن معاني الفاعلية العبادية " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون " فتكون كل حركة "عبادة" موصولة بالله وشرعة مغتذية "بالشرعة" ومورد من موارد مائها الفياض المتصل " ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ".

إن الضامن والحاضن لكل معاني الحياة والإحياء غنما هو في نمط الاستجابة الحي "لا الاستجابة الميتة أو المميتة أو القاتلة لكل معاني الحياة " . وهذه مسألة جديرة بان تفرد ببحث مستقل من شأنه أن يتأدى بنا إلى تحديد مفهوم "العبادة" في الإسلام الواصل والموصول بمنظومات الفعل الحضاري والعمراني .

ومن هنا فإن معنى الاستجابة قد يكون من معانيها أن تجابه وترتبط بمعاني "التحدي "و"الابتلاء" من مثل مقولة "التحدي والاستجابة" لدى توينبي ، إلا أن الاستجابات لا تقتصر فحسب على التحديات بل غنها استجابات لنفع مؤكد ونعيم مقيم وإحياء للنفوس وتزكيتها وعمرانها " ..وإذا دعاكم لما يحييكم .." هكذا فُطر الإنسان على ذلك قاصدا إلى عناصر المصلحة والنفع متجنبا كل عناصر الضرر والفساد إلا أنه مع ذلك كان ظلوما (في فعله) جهولا في (معرفة) ، ظلوما رغم قدرته على العدل

والاعتدال والعدالة ، وجهولا رغم قدرته على المعرفة وتراكم معنى الحكمة في معرفته .

الدعوة الاستجابة الإحياء العبادة العمران الحياة الطيبة .

تشكيلات معادلة مهمة واصلة بين فعل الاستجابة وحقائق الإحياء ، ومعاني العبادة الشاملة (إلا ليعبدون) ، وتعمير الأرض (هو الذي أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) ،".. فليحيينه حياة طيبة باحسن ما عملوا ...) معادلة تقبل بين العبادة بشمولها بمنظومات الفعل الحضاري والعمراني . ومن هنا لا تستغرب أن هذا المعنى العبادي الشامل في إطار المقصود من الخلق وفاعلياتهم .."...إلا ليعبدون.." ، واستقراء من موارد معناها في الكتاب والسنة ..إذ أنها من السعة بحيث تشمل "كافة وجوة النشاط الإنساني ولا سيما النشاط السياسي ، حتى غدا هذا النشاط في مفهوم "الحقيقة الدينية" في هذا التشريع عبادة ، بل من أجّل فرائض الدين .وإن قول الإمام ابن تيمية في هذا المقام حيث يقول "فالواجب اتخاذ الإمارة دينا ، وقربة يُتقرب بها إلى الله ".

إذن كل من مفهوم "الحقيقة الدينية" في الإسلام وكذلك مفهوم "العبادة" فيه من مقومات العمل السياسي ، وبذلك أضحى كلاهما جزءا من الدين الموحى به .."..

وترى الشريعة تحكم الصلة بين السياسة والدين بوجه خاص ، كما احكم الصلة بين الدين والدنيا والآخرة حتى داخل كل نشاط إنساني بوجه عام والسياسي بوجه خاص ،يؤول بهذا المعنى كما يقول الشاطبي إلى أن يكون عبادة .

إلا ترى في معنى السياسة إلا معاني العمران والتربية والتهذيب والتأديب والرياسة ومعاني الإصلاح الواجب والبعد عن الفساد القاتل والمؤذن بالخراب العبادي والعمراني لحياة الإنسان .

السياسة هي قيام على الأمر بما يصلحه (فكرا وعملا وابنية وأشخاص ، وعلاقات وسياسات ومؤسسات وأنظمة وأنساق) القيام على الأمر مطلق أمر الإنسان المرتبط بمعاشه ومعاده في عبادة مستمرة شاملة لمسيرة عمران مكينة عامرة كاملة سياسة تكون معها الأمور أبعد عن الفساد لزوما و أقرب إلى الصلاح وجوبا فتحرك فاعليات الإنسان واجتهاده الصلاحي والإصطلاحي . وهي سياسة عادلة لأنها جوهر

السياسة والصلاح ولا تقع السياسة الظالمة في حدها لأنها بذلك تهدف إلى الفساد وخراب العمران ، فالظلم مؤذن بخراب العمران . وكذلك فإن الفعل "سوس" يأتي أصلا من السوس الذي ينقض الكيان من داخله ويتركه هشا ضعيفا وإن بدا في الشكل غير ذلك ، السوس ينخر في جسد الكيان فيتركه في حال من الوهن الذي يؤذن بخراب العمران للناس وفي الناس .

ومن هنا فإن " المنهج الأصولي الغائي المقاصدي " في الاجتهاد التشريعي موصولا بمداخل اللغة وسعتها الدلالية وجذورها التكوينية ، ومرتبطا كل ذلك بمقررات الوحي الالهي كتابا وسنة باعتبارهما المصدرين الأساسيين المرجعيين اللذين صدر عنهما هذا الفقه لتكوين تصور اجتهادي لتلك الخصائص والمفاهيم (البينات) وما هو في حكمها وذاخل فيها ، وتبين مدى اتساقها مع ما يستشرفه التشريع السياسي نفسه ، من مقاصد وغايات ليتم على ضوء منها :

تدبير الحياة الغنسانية على وجه هذه الارض وعمرانها ، تعبيرا امينا عن مقتضى استخلافها فيها وعيا وسعيا ، بما يمسك عليها كيانها ويجنبها أسباب التهافت والاضطراب ، لا سيما على الصعيد العالمي ، ويقيمها على أساس من العدل الشامل المسيطر ، وأصول الفضائل والقيم الحاكمة والأمن المستقر ، والتواصل الحضاري المستمر في دائرة الخير الإنساني العام أداء لأمانة التكليف ، بأوسع معانيه وأبعاده من الشمول موضوعيا وإنسانيا وفطريا وعالميا .

ومن هنا تتواصل المنظومة الممتدة في المقاربة الماوردية التي لا ترى صلاحا للدنيا أو فيها إلا بدين متبع (في الوعي والسعي في النظر والسلوك) فيرشد السالك إلى أقوى المسالك ضمن حركة إحسانية " وللذين أحسنوا الحسنى وزيادة " " وهل جزاء الإحسان إلا الاحسان " ارتقاء بالتي هي أحسن وإرتقاء للتي هي أحسن ، فيصير الإحسان عملية والتحسين مسألة وقضية ، يعمل لها المسلم خفية وعلانية فيكون من المحسنين .

وسلطان قاهر بالهيبة لا بالعسف ، بالعدل لا بالظلم ، بالقسط والعدل لا بالحيف والجور .

فالسلطان القاهر بعدله غير المقُهر باستبداده ، السلطان فيه حجة وبرهان ينير الحياة وكانه المصباح الذي ينير بالزيت "السليط" المغني والوضاح ، وليس سلطان السلطة الغاشمة أو التسلط المقيت . ومن هنا فكان السلطان المهيب مقرونا بالعدل الأشمل والأكمل ، فكان العدل الشامل وجهه واتجاه ، قبلة وبوصلة ، روية ورسالة ومقصد ، موقف وحكمة ، قدرة ومكنة ، حالة وحُلة ، وسط وبيئة ، فالعدل أصل الأصول والقيمة العليا في سلم تصاعد القيم وصعودها وارتقاءها بالإنسانية نفسا وتزكية ، وبالجماعة ارتقاءا وعمرانا ونهضة فيكون الشمول من أصل بنيته ، والأصول من أسس حركته ، فيكون العدل فاعلا ومفعلا فعّالا ، فيتحول من موقف ابتدائي إلى حالة شاملة ومسيرة كاملة ومتكاملة لا ترى القيم الأخرى إلا في ضوئها من اختيار وحرية ، ومن مساواة وتسوية وسوية .

والإمام العادل خصب الزمان ، فكان العدل تربة خصبة للفعل والفاعلية ، لاستثمار كل مقدرة وإمكانية ، وتحقيق أصول الرافعية والدافعية والجامعية فتهيأ البيئة وتعد لعطاء فعال فياض متجدد ومتعدد ومتمدد ، فالعدل هو أصل معادلة الخصب الدائم والنمو والنماء الملائم والعطاء الفياض القائم ، فالظلم مؤذن بخراب العمران والإصلاح والمصلحة والصلاحية والصلاح ، كلها افعال مشدودة إلى أصل العدل والفضل ، فالقيام بالعدل والقسط هو رعاية للنمو والخصب .

العدل هو من الكلمات الطيبات من الشجرة الطيبة التي تؤتي اكلها كل حين بإذن ربها ، أصلها ثابت وفرعها في السماء موصولة غير مقطوعة ، معطية عطاءة غير ممنوعة ، محركة كل معاني التراضي والرضا ضمن حركة رضا متواصلة ومتبادلة (رضى الله عنهم ورضوا عنه) في إطار يحمل الشرعية التي لا يمكن أن تكون إلا إمام عادل (في مسيره ومسيرته ورعايته) وخصب الزمان (في نتاج سياساته والقيام بمقتضى أدواره ووظائفه وحقائق إنجازه ومنجزاته ، شرعية عدل وإنجاز موصولة بالعطاء الكامل والانجاز الشامل والحياة الطيبة عمرانا خصيبا للإنسان والجماعة ، للأمة والإنسانية) ومن مربع هذه المعادلة (الدين والسلطان والعدل الخصيب) تكون المحصلة بعدل الميزان (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) هو الأمن المستقر فتكون الشرعية قرارا واستقرارا وقريرا ، الامن هو حاصل تفاعل الأربعة

كأركان وأساسات لبنيان مستقر في أمن مستقر (ابتداء وبقاء ، بناء وأداء ، ارتقاء ونماء ..) .

الأمن قيام بالأمانة وأمين عليها ورعاية كاملة و متكاملة ومتفاعلة فعّالة . تحرك أصول الشفافية والمسئولية ، والمساءلة والمحاسبة ، الأمن ليس حركة منع لتقييد الفاعليات أو حركة تجميد للشعور بالإستقرار ، بل هي حركة تهيئة وإعداد البيئة المواتية والمناسبة لحركة الخلق وإصلاح أحوالهم فتكون السياسة ما يكون الناس فيه أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد .

الأمن حركة فاعلية مقصودة هادفة إلى معاني الاستقرار في جوهره لا الاستقرار الزائف المستند إلى حالات من الرضا الكاذب أوقرار مزعوم ، أو استبداد مرجوم ، فالأمن أمان على الدين والنفس والنسل والعرض والعقل والمال ، ومع بيئة الأمان والأمانة والأمن يكون الاستقرار واقعا ومحصلة ونتيجة ، فالأمن حالة دافعة ، وبيئة رافعة ، وطاقات وإمكانات جامعة ، وأصول تمكين لفاعلية دائمة البناء فياضة العطاء متجددة البناء والأداء .

وإذا كان مربع الأسس (الدين / السلطان / العدل /الخصب) القادر على عمارة صلاح الدنيا والمعاش يقيم أمنا ويحرك حال أمانة في العلاقات والمؤسسات وكافة الفاعليات فإنه ينتج أفقا أرحب للعمل والعمليات الاحسانية المتواصلة والمتصلة والموصولة والواصلة والاتصالية فتصول في حركتها الفاعلة وتجول في افقها الرحب في حركة عمرانية موزونة ومتزنة ، لتؤصل لمعنى عمران العدل ، وعدل العمران ، فإذا كان الظلم مؤذن بخراب العمران، فالعدل مؤذن بإقامة وتمكين العمران في البنيان والكيان والانسان في المكان والزمان في الأمن والأمان والإيمان . هذا الأفق في انفتاح النسق الحضاري الاحساني " بالتي هي احسن " إنما يتحرك ويحركه الأمل الفسيح ،ذلك أن انسداد الأفق لا يورث إلا حال من العطالة في الفاعلية والبطالة الحضارية والاستقالة العمرانية والتوقف عن ممارسة الدور في الشهود الحضاري ، والرضا بحال القعود والغياب والتواري والوهن وشيوع الاحباط واليأس وفقدان الامل ، فالأمل الفسيح هو المحرك الدائم للفاعلية الإنسانية واستشعاره دافعية للأمة رافعية للنفس والفرد محققة معنى جامعيتها وفاعليتها ، والابقاء على الأمل

الفسيح ليس بالأماني الكاذبة أو الزائفة (ليس بأمانيكم أو أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجزى به ..) .

الأمل الفسيح وعي في الرؤية والحجة، وسعي في العمل وبناء العدة " ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة .. ولكن كره الله انبعاثهم " هذا الانبعاث هو المقترن بالأمل الفسيح والذي يتضمن ثقه بالله ، وإيماننا بسننه وقوانينه التي لا تتبدل ولا تتحول " فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.. " .

إن الأمن المستقر هو مفتاح الأمل الفسيح فلا يحمل أملا فسيحا إلا من كان أمنا يتمتع في سربه بالاستقرار ويؤكد في عمله على الاستمرار ويحرك كل معاني الإرادة والإصرار .

ذلك أن الفساحة راحة وايثار وسعة واتساع ومسامحة واحتمال وبين الآمال والمآل تعلق ، فانفساح الحياة لا يمكن أن يتحقق عمرانا وإنسانا وبنيانا إلا بانفساح الأمل والنظر الفاحص إلى المآل والاستقبال .

وانفساح الحياة والأمل ..انفساح في الرؤية والأفق الحضاري الذي يمثل ساحة حضارية ممتدة في أفق المعمار الكوني واتساقه ".. ولتنظر نفس ما قدمت لغد .." إن مقام النظر ليس في النظر تحت الأقدام فحسب لتحتسب خطوها بل " النظر لغد" في إطار ما قدمت وأعدت ودبرت فينساح أفق النظر في أفق الساحة الكونية فتكون الفساحة في اتساع النفوس والعقول والقلوب والأفعال والأعمال .

لعمري ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق(أحلام) الرجال تضيق .

"وما كان ربك بمهلك القرى وأهلها مصلحون " فبين انفساح الأمل يكون انفساح الإنسان والأكوان والمكان والزمان والبيان " يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم .." اتساعا واستقرارا وطمأنينة وأفقا ورضا ، وما الأمل الفسيح إلا عمل مستمر فسيح .

هذا الصلاح والإصلاح إنما هو صلاح وإصلاح في الخاص والعام ، وهو شأن اجتهاد الفرد والجماعة . فيكون هذا الاجتهاد الإصلاحي احتهاد تجديدي متواصل لا تحققه إلا إرادة الإصلاح " إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب " .

الارادة / الاصلاح / الاستطاعة / التوفيق / التوكل / الانابة ، عمليات بعضها من بعض تحقق أصول الانفساح في الصلاح والإصلاح والصلاح والإصلاح في الانفساح في الأمل والعمل . فالمسلم والمؤمن مأموران بالخروج من حال القنوط "لا تقنطوا" إلى سعة الرحمة " ورحمتي وسعت كل شي " ، فالشريعة رحمة كلها " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين " .

ست أمور من الصحاح تؤسس لعملية الإصلاح والصلاح .

في ضوء هذه الكلمات يمكننا الوعي والسعي بمقتضي الاجتهاد المقاصدي ، فهو اجتهاد قاصد مقتصد سابق بالخيرات لعمران الإنسان والبنيان والأكوان جميعا .

ويتضافر مع الاجتهاد المنظومي ، والاجتهاد العملياتي وصف هذا الاجتهاد بالمنهجي " ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا .." والمنهج والمنهاج والمنهاجية عمل فائق لابد أن يرتبط بالاجتهاد المقاصدي فما من قصد إلا وله طريق ومسلك وسلوك " وإن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله.."

فالنهج طريق والمنهج نظام والمنهاج إرشاد والمنهاجية عمل يحدده الوصل بين الأصل وعملية الوصول ، وهو اتصال معرفي يتسم بالرشد والنظام والعمق والوضوح فيصل بين القاصد والمقصود بانتهاج الطريق والطريقة كأفضل ما يكون .

فهذا واصل ووصل بين التفكير المنظومي ، والاعتبار العملياتي ، والعمل المنهجي لا ينظم ولا يشبك فيما بينها إلا الناظم والواصل المقاصدي باجتهاد وجهد ومجهود وجهاد .." والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا .." وهو من جملة الوعي بأصول الفقه الحضاري ومعاني الكدح الحضاري فيه " ياأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه .." .

اللهم امنحنا كدح الوصول للقاء الله منهجا وأصولا .

هذه الشبكة الاجتهادية نحن أحوج ما نكون إليها للوقوف على حال عوالمنا المختلفة .

عالم الأشخاص ، وعالم الأفكار ، وعالم الأشياء ، وعالم الأحداث ، وعالم الرموز ، وعالم النظم ، وعالم المفاهيم ، وعالم الخبرات ، وعالم النماذج ، وعالم الانماط ، وعالم النماذج المعرفية ورؤى العالم ، وعالم الادراكات ، وعالم التحديات ، وعالم

الاستجابات ، وعالم الاستراتيجيات ، وعالم التشكيل الحضاري ، والأبنية الحضارية ، والعوالم الثقافية والعقلية والفكرية وعوالم التنمية والنماء والارتقاء ، وعوالم الارادة والأداء وعوالم العدة وعوالم الأحوال المتقاربة بين الشدة والرخاء ، والضعف والقوة ، والوهن والعزة ، وعوالم العلاقات ، والسياسات ، وعوالم المؤسسات ، وعوالم البدائل والمواقف والاحكام والرؤى ، وعوالم القيم وأنساقها والأخلاق وبنياتها ، وعوالم المناهج والتفكير المنتظم ، وعوالم المجالات المختلفة في سياسة واقتصاد واجتماع وتربية ، وثقافة وفكر وعوالم الأفراد والتشكيلات الجماعية والجمعية والمجتمعية وعوالم الفكر والحركة .

ويرتبط بذلك كله عوالم الاجتهاد وعمليات التجديد الحافزة على العمران الحضاري ونهضته ، وعالم الأسباب والمسببات ، وعالم الوسائل والآليات والادوات والإجراءات والقواعد والمؤسسات والوسائط ..، وعام العقبات والمسهلات وعالم النظام الدولي والعلاقات الدولية والأنظمة السياسية ، وعالم الداخل والخارج ، وعوالم العمليات المتعلقة بالمشاركة والشرعية والقيادة والحركات الاجتماعية والقوى السياسية ..وعالم النماذج التاريخية والنفسية والفكرية ...

عوالم شديدة التنوع والتمدد والتعقد والتجدد فهل لنا أن نعتبر هذه العوالم جميعا فنفهم حقيقتها وطبائعها ، ومسيرتها وسيرورتها وتطوراتها ، وتأثيراتها ومآلاتها ومستقبلاتها ، عناصر نظمها ضمن رؤى استراتيجية نصل إلى رابعة الاجتهاد المقاصدي وهو ضرورات البناء الاستراتيجي والحضاري ضمن أصول الفقه الحضاري والاستراتيجي والعمراني .

"فقه جامعية الأمة ومانعية افتراقها وتفرقها " في واقع الدولة القومية والسياسات الكونية والعولمية .

. الاسهام السني والشيعي في التجديد بالاجتهاد المقاصدي .

. الاجتهاد وعملية الجامعية .

. إذا اتحدت التحديات وجب اتحاد الاستجابات .

. إذا ضعفت الاستجابات وجب وضع الاستراتيجيات .

. إذا وضعت الاستراتيجيات وجب الوعي بالحاجات والتحديات .

. والتفكير بالوسائل والأدوات والآليات .

ـ إذا ارتبكت المدركات وغامت المفهومات واضطربت التصورات غابت الرؤى وتشكيل الاستراتيجيات .

. إذا وُجدت القابليات تمكنت الأفعال والفاعليات .

. إذا الايمان ضاع فلا امان ، ولا دنيا لمن لم يحيي دينا .

ـ إذا وجدت الاختلافات بين مؤتلفين وجب الخروج بها إلى دائرة الائتلافات ، وإذا كان منها بدُ لابد أن نتعلم فن إدارة الاختلافات .

. لابد أن نحرص أن توجد الاختلافات دائما فيما بيننا في دائرة التعددات والتنوعات والتكاملات لا في دائرة التناقضات والتنافيات والتنازعات .

وإذا تنوعت الامكانات وتعددت القدرات صار فقه التجميع والتنظيم والتنسيق أولي.

نحن كنا في عصر تقسيم المتكاملات والتفتيت إلى جزئيات وتقسيم الكيان إلى منفصلات ومحميات .

ثانيًا : بناء موقف اجتهادى يحفظ جامعية الأمة بين الشيعة والسنة : نحو صياغة موقف تجديدي من خلال الكليات الفاعلة في المدخل المقاصدي :

مجالات الفعل الحضاري للأمة :.

حفظ الدين وضرورات عملية الاجتهاد الجامع والحفاظ على جامعية الأمة ضمن حال استهدافها ، ومشاريع الاستهداف الكوني لأمة المسلمين ، وضرورات بناء الموقف الاستراتيجي على قاعدة من مستلزمات وحدة الأمة في إطار :

مقاومتها لابد أن تستند إلى معاني جامعيتها .

مشروع الشرق الأوسط الكبير في مواجهة مشروع الأمة الوسط الذى يهدف إلى جامعية الأمة

الدين جامع مدخل لجامعية الأمة وتحريك فاعليتها ، وحدة القبلة ، ووحدة الهدف ، وترجمة ذلك إلى حالة من المصالح المتبادلة القادرة على ان تشكل بنية تحتية قادرة لصياغة جامعية الأمة من خلال وسطيتها :ـ " كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ، " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا "

الخيرية ، الوصف ، الوسطية ، الشهادة ، (الأمة القطب) .

حفظ النفس الكيانات الإنسانية في أمة المسلمين والنفس الجماعية الممثلة في الوجود المعنوي للأمة الذي يجب أن يترجم إلى أشكال من الحفظ للنفوس في أمة المسلمين وحفظ النفس الإنسانية كأصل من الأصول التي ترتبط بالشرعة " من قتل نفس بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا "

الرؤية الإنسانية الجمعية وحرمة النفس الإنسانية كيانا وبنيانا في ظل الحفاظ على الحقوق التأسيسية للنفس الإنسانية حرمة دم المسلم، حقائق " المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا ، ثم شبك عليه الصلاة والسلام بين أصابعه ، ليدل على معنى التماسك الإسلامي في إطار وحدة النفس المسلمة وحرمتها " ، " ومثل المسلمون في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .."

"المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم " وهو شأن يحرك معنى التماسك النفسي في إطار الحفاظ على نفسية الأمة وحرمتها في إطار التعامل التكافلي واالتعاوني والتراحمي والبنياني والذمة الكلية الواحدة أو الجامعة التي تمثل حقائق جوهر الشخصية المعنوية للأمة وتماسكها .

حفظ النسل الكلي والعام للأمة في حركتها بما يحقق رقيا وترقية للعنصر البشري في الامة ، بما يؤهله ليترجم إلى حالة كيفية ونوعية وليس مجرد كثرة عددية وذلك في إطار الخروج عن "حال التداعي" على "الأمة " كما تتداعى الأكلة على قصعتها " خيرات الأمة وامكاناتها المتنوعة والمتعددة البشرية والمادية ، ضرورة الخروج من حال الكثرة الغثائية ، والخروج من حال الوهن بأشكاله وبمسبباته إلى حال من العزة واستثمار ضمائرها في الأمة ، ويقع على رأس هذه الامكانات " الامكانات البشرية والإنسانية " الذي يمثل أهم عناصر قوة الأمة والقادرة على أن تشكل رافعة في نهضة الأمة الحضارية بما يحقق عناصر التنمية الإنسانية الحقيقية للنوع الإنساني ونوعية الحياة القاصدة إلى صياغة أصول الحياة الطيبة وحفظ الكيان الأسري الذي يشكل نواة للمجتمعات الأ كبر وتماسكها في إطار ترقية النسل والحفاظ على طاقات الأمة

وامكانياتها . وفي إطار يحفظ للإنسان كرامته الذي يصب في عزة الأمة وكرامتها ، وبما يحقق عمرانها وترقيتها ونهوضها .

حفظ العقل والطاقات الفكرية والثقافية والمعرفية والعلمية والبحثية والإعلامية في الأمة بما يحرك الحفاظ على مؤسسات صياغة عقل الأمة ، عقل الأمة الكاشف والفارق والثاقب والناقد والباني بحيث تشكل تلك العقلية أحد الروافع الحضارية لنهوضها الثقافي والذي يشكل أهم مداخل صياغة الإرادة المعنوية واستثمار الطاقات الحضارية بما يمكن الأمة من النماء والارتقاء .

إن إعادة تشكيل العقل المسلم بما يؤصل معاني ضروراته وحاجاته الأساسية بعيدا عن حال الافتعال والانفعال والاغفال إنما يحرك العقلية البصيرة الراشدة القادرة على إشاعة الوعي في عقل الأمة بما يحفظ عليها وحدتها .

إن محاولة نشر وبث الفرقة إنما تتم في البداية في العقول وعن طريق الأفكار بما تحدثه من حالات الغزو المعنوي والتسميم الثقافي والحضاري والسياسي ــ الأمة في حال من النزاعات والانقسامات التي يمكن التعامل معها على نحو يجعل من اعتصام الأمة وحال جامعيتها هو الهدف الأساسي لصياغة هذه الحالة الفكرية والعقلية للأمة بما يوافق اعتصام الأمة ووحدتها .

حفظ المال وطاقات الأمة المادية والانمائية في إطار يستهدفف استخدام طاقات التسخير في سياقات التعمير والتعظيم لهذه الطاقات .

لا شك أن هذه هي القضايا الحقيقية والجوهرية التي ترتبط بكيان الأمة والحفاظ على امكاناتها المادية كطاقة حضارية فاعلة تصب في عافية الأمة وصحتها ، إن التعامل مع عالم الإمكانات بالهدر غنما شكل تفريطا في طاقات الأمة وامكاناتها الحقيقية في إطار أن الأمة بأفعالها قد تحول "النعم" الأساسية التي تملكها الأمة إلى "نقم" ومسئوليتها فرادى وجامعات ودول وأمة عن أموالها خاصة حينما تتعامل معها بهدر الإمكانات وتبديد الطاقات .

لا شك أن هذا النظر التجديدي للمجالات المقاصدية وأثرها على عمران الأمة في شبكية جامعة تستطرق فيها كل عناصر الحفظ المتكاملة وتستثمر كامل طاقتها : الدينية والبشرية والعقلية والمادية .

والتي تعد أصولا لتأسيس العمران الحضاري للأمة ، ومن هنا تبدو تلك الخلافات (الطائفية والمذهبية) والتي تتخذ أشكالا للفرقة والتنازع إنما تشكل حالة ضد مقصود الأمة وحفظ مجالاتها العمرانية الاساسية واستثمار قدراتها في بناء الأمة وصياغة جامعيتها واعتصامها وتماسكهاووحدتها والفرقة من نواقص ذلك ، وكذلك التنازع ضمن استجابات يتحكم فيها عناصر الافتعال والانفعال والافتعال .

أولويات الفعل الحضاري للأمة : وحدة الأمة وتماسكها لتحقيق وعي بالتحديات وقدرة على تأسيس استجابات استراتيجية بصيرة في إطار يحقق أصول الاعتصام وجامعية الأمة إنما يحدد :

حقائق الضروري وبناء الأمة وصياغة علاقتها التكاملية والتكافلية والتماسكية ، غن فرقة الأمة هي المدخل الاساسي لتحقيق الحالة التنازعية ولا ثمرة للتنازع إلا الفشل وذهاب الأثر والفاعلية " ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم " ضرورات الأمة هي التي تحدد أصول اختياراتها وحقائق رشدها ومعنى تماسكها وفاعليتها خروجا على حد "التداعي" وأشكال "الغثائية" لأن ذلك لا يكون إلا نتاجا للوهن بكل أشكاله في التفكير والتسيير والتدبير والتأثير ، وهن الحالة العقلية ، ووهن المخزون النفسي ، ووهن الدوافع التربوية التي تحفز جامعية الأمة .

الأمة بهذا الاعتبار من أمّ ، والأم هو القصد ، وفقدان القصد هو تضييع للأمة كيانا وتكوينا ،حركة وفاعلية .

إن الضروري المانع لكل فساد والجالب لمنظومة المصالح إن يؤصل معاني ، ضرورات السلطة في سياق يؤمن ويؤصل معاني شرعيتها ، إن ضرورة السلطة تتلازم مع ضرورة شرعيتها لأن ذلك عنوان بنائها والقدرة على محاسبتها ، في إطار يصوغ العلاقة السياسية وشبكة العلائق الاجتماعية وعناصر النسيج الاجتماعي بكل ما يستأهله من نظر وتطبيق .

إن إنجاز الضروري في منظومة تحقق وتحفز وتنجزكل ما يحقق معاني الاعتصام وجوهر الجامعية فب الأمة لا يعد إلا مقدمة للتوجه إلى تحديد احتياجاتها الأساسية والانتقال من حدود الكفاف المرتبط بالأمة إلى مشارف الكفاية التي تتعلق بتماسكها واعتصامها ، والانتقال من هذا إلى المقاصد التحسينية القائمة على قواعد التجويد

لحال الأمة في جامعيتها وفاعليتها ، وهي أمور تجعل من ضرورات الأمم محددا رئيسيا لخيارات الانظمة وأهم قواعد محاسبتها وشرعيتها ، وتشكل هذه الأمور ميدانا " لشرعية الانجاز" ضمن هذا المجال الذي يحدد عناصر فاعلية الامم وحركة نظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

ولا شك أن هذا يحيلنا غلى وضع أجندة (برنامج عمل) واضح يحدد فيه الضروري ضمن استراتيجيات التكافل والتكامل ضمن قرارات الأمة في صياغة استجاباتها الحقيقية والجوهرية وإمكانية أن تحول أصول تماسكها إلى إمكانات مشتركة متكاملة ومصالح متبادلة متفاعلة ، ومنافع تصب في كيان الامة وعافيتها.

نظريات الحفظ والحفاظ على وحدة الأمة ، واعتصامها ضمن أصول نهضتها الحقيقية وتعظيم قدراتها التجديدية من نافلة القول أن نؤكد أن من صنوف الحفظ هو آليات النقد الذاتي ، وآليات التجدد الذاتي ، فالحفظ إذ يقترن بكل تلك المجالات في الساحة الحضارية ، ويتلازم مع معاني الحفظ السلبي (بدفع الضرر) والايجابي (بجلب المصالح) ويتأكد ضمن مستويات عدة (الوعي والمعرفة . الممارسة والتطبيق . الحماية والزود عنها . المراعاة في حق الغير) لإحداث حالة حضارية واعية بمقدراتها داعية غلى نهضتها ورقيها . وتتأكد معاني الحفظ والرعاية والصيانة لكيان الامة الحضاري وكيانها الاجتماعي بالنظر إليها ضمن حقائق التكامل (المنظومي والعملياتي والمنهجي والاستراتيجي) فيجعل من حفظ الابتداء قاعدة الانطلاق لأمة تتمتع بالوحدة في الهدف والتماسك في الكيان والاتحاد في القبلة والقدرة على تحديد توجه الأمة ومسيرتها ومسارها فيتحرك صوب كل العقبات التي توضع في طريق "تجديد الجامعية" للامة ومحاولة التغلب عليها (فلا اقتحم العقبة) واستثمار كل المسهلات والامكانات والقدرة على ترسيخها وتفعيلها وتشغيلها والتمكين لها .

تجديد الجامعية لابد أن يكون له اصوله المرعية وسننه وقوانينه الشرطية التي لا يتحقق إلا بها (فيتحرك صوب التشبيك بين المدخل المقاصدي وعلى رأسه حقائق الحفظ ، والمدخل السنني الشرطي لتحقيق أصول الوعي والتمكين لحقائق السعي ضمن مراحل وخطط وعمليات . وحفظ الابتداء يسلم إلى حفظ البقاء الضامن لكل فاعلية تتعلق بالتعمير والاستثمار ، وللبقاء قوانين تتعلق (بحفظ الأداء ، وحفظ

المؤسسات والبناء ، وحفظ النماء والارتقاء) فتتأكد عملية الحفظ بكل جوانبها ، إن حفظ الأمة مرهون بحفظ عناصرها وكيانها ، ورعاية الامة مرهونة بتنظيم امكاناتها والكشف عن مكنوناتها ، وكل ذلك مشروط بسنن اتحادها ومعاني جامعيتها وتماسكها واعتصامها .

إن الامر هنا قد يرتبط بكل أمر وحركة وفعل ضمن حركة المسئولية العامة والذمة الواحدة والتكافل بين العناصر المكونة والتكامل بين الرؤى والمكونات والمقومات "حفظ/أم/ضيّع" إنها قوانين الحفظ الضامن للاعتصام الذي يعد شرطا في فاعلية الأمة .

ومن هنا وجب علينا التوقف عند ما يمكن أن يفتح الأدمغة في تعاملها مع قضايا وحدة الأمة وفاعليتها .

فنشير إلى :

المفخخات التاريخية ، والمفخخات الافتائية ، والمفخخات التسييسية ، والمفخخات المفاهيمية ، والمفخخات التلبيسية ، وعمليات التسميم الاجتماعي والثقافي والسياسي وجملة التسميم الحضاري ضمن منظومة من الأدوات لبلوغ عناصر الغزو المعنوي والحضاري .

وغاية أمر هذه المفخخات جميعا وغيرها القديم منها والحادث فيها أن نتعامل معها ضمن الاصول المنهجية الحاسمة ، فهذه المفخخات التاريخية لا يمكن مواجهتها إلا في ظل منهجية تاريخية واعية وبصيرة .

ومفخخات الإفتاء لا يمكن التعامل معها إلا "بمنهجية تؤصل معاني فتاوى الأمة ووسائل جامعيتها كمدخل للتماسك " المرجعية الإفتائية وحكماء الأمة " والمفخخات التسييسية يجب الوقوف عندها وعلى أبوابها في غطار التمييز بين خيارات الأنظمة وضرورات الأمة ، الأمة شكلت رافعة حضارية حتى مع ضعف السلطة وكيان الدول وتعددها واستطاعت أن تشكل بفاعليتها حماية لحياض الأمة والرباط على ثغورها فلا يؤتى أحد مكامن ثغره .

إن فاعليات الأمة يجب أن تتجه لحماية ضرورات الأمة وتجعل الانظمة ضمن حالة تعيد حساباتها في إطار يجعل من عملها حساب لتلك الشعوب أولى مداخل مساءلتها .

إن الأفق الذي يتحرك فيه بعض علماء الدين ، وعلماء السلطة يشكل أخطر المداخل لفرقة الأمة ، لأن العالم يقطع الطريق (قاطع طريق) على وحدة الأمة ضمن تفتيت رؤى الأنظمة لما تسميه مصالحها العليا والتي لا نراها إلا في سياقات استبدادية ، لا تحاول ان تواجه تلك المشاريع السياسية الكبرى ، والكونية بما تستأهله من أفق يحيط بنا وضمن مصالح جوهرية تستند إلى أصول الشرع وسند التعامل مع الواقع بكل تعقيداته وتشابكاته .

إن القابليات التسييسية هي التي تحيط بأشكال العلاقة ، فتعلي الجانب السياسي بتسميم هذه العلاقات الثقافية والحضارية . إن إيران تشكل واحدة من دول الأركان الحضارية الحضارية في عالم المسلمين مما يفرض عناصر تتعلق بالأمن الاستراتيجي لهذا العالم . إن قاعدة اعتصام الأمة وجامعيتها يجب أن تكون واحدة من أهم موازين صياغة المصالح الاستراتيجية المختلفة في عالم المسلمين . ويجب ألا تتحكم عناصر التجزئة التي تفرضها حال الدول القومية فتبقي على أزماتها والتي تكرس حال التخلف والتجزئة والتبعية .

إن المشاريع السياسية التي دخلت على المنطقة وأحدثت قدرا من الاستقطابات بين الدول المختلفة

وتتشابك عناصر التفخيخ السياسي والتسييس إلى عناصر تتعلق بعالم المفاهيم ضمن ما أسمي معركة كسب العقول والقلوب ضمن سياقات تسويقية وترويجية تؤتي هذه المفاهيم آثارها السلبية على كيان الأمة ومسارات اعتصامها ووحدتها أو على الأقل لا تسهم في تأسيس حقائق لمصالح متبادلة استراتيجية (حافظة للكيان ، حافزة على الفاعلية) ، مفاهيم مثل (الأقليات والتكوينات الطائفية ، العلاقة بين الداخل والخارج ، قابليات الظواهر ، الاستبداد السياسي والعلاقة بين الحاكم والمحكوم ، الدولةى القومية ومفهوم السيادة ، الخصوصية والعالمية ، المصالح القومية والقطرية ؟! ، وتجيير مفاهيم بعينها لمصلحة معادلات القوة والمصالح لسياسات كونية لدول

كبرى : العولمة ، المواطنة العالمية ، حقوق الإنسان ، الإرهاب ، كنفي لحركات المقاومة ..)

وينشأ في الغالب عن كل هذه المداخل للتفخيخ حالة تلبيسية شديدة الوطأة على العقل الجماهيرى وكذلك على المسار العام لحركتها ، وهي في الغالب كلها تنتمي إلى دائرة ما يمكن تسميته بعمليات التسميم السياسي والاجتماعي والثقافي وجملة ما يتعلق بالتسميم الحضاري والمعنوي والتي تفت في عضد الكيان وامكاناته وفاعليته وتعظيم قدراته .

وتتأتي النافذة المتعلقة بفهم الواقع بكل تنوعاته وامتداداته وتعقيداته لتملي الضرورات والدواعي للتعرف على خريطة واقع الأمة وتحدياتها خاصة ذلك التحدي المتعلق (بالتجزئة والتفتيت) ، والتحدي المتعلق بالتكامل والتماسك والجامعية والاعتصام (انظر د. نادية مصطفى ، التدخل الخارجي وازمات المنطقة ، التجربة التاريخية وآفاق المستقبل)

إنها مساحة ترتبط بإدراك الواقع وفهمه في سياقات "فقه الحال " ، "فقه الواقع " ، " فقه المجال " في محاولة لتجديد مفاصل التعرف على الواقع في إطار التعرف على المفاصل النوعية في الظاهرة و(الأصلي فيها والمكمل) والسياقات الإنسانية والبشرية والوسط المكاني والزماني بما يؤصل التعرف على واقع التجزئة والتبعية وإمكانات الجامعية والتكامل والاعتصام ، إن كل حالة لابد وأن تتحرك ضمن واقع ووسط يجب الوعي به وبحقائق واساليب التفاعل والتعامل معه .

وغاية الأمر التعرف على العوامل الدافعة والمكرسة لحال التجزئة وصناعة الفرقة ضمن صياغة الواقع الادراكي والمؤسسي والحركي والتطبيقي .

وربما هذا المدخل لفهم الواقع وتنوعاته يرتبط بقضية غاية في الأهمية تستند إلى (تسكين الجزئيات) في سياق "اعتبار المناط" تخريجا وتنقيحا وتخفيفا ، دراسة المسألة كعملية أمر غاية في الأهمية لابد وأن نقف على ما يمكن تسميته بعمليات " صناعة الفرقة " كيف تتم وبأي آليات ؟وكيف تتراكم وتتعاظم ؟ وكيفيات التعامل والمواجهة ؟

(مناطات الفرقة) (مناطات الاعتصام) عمليات وعمليات مضادة ، يجب الوقوف عليها في تحديد المسائل وتسكينها ومناهج الدراسة العملية والمنهجية الواعية وقدراتها في هذا المقام . وهي جزء لا يتجزأ من إمكانات التعرف على الجزئيات والوعي بسننها الكلية .

والبحث في قابليات التجزئة والنهوض بمعاملات التي تؤصل لقابليات الاعتصام والتماسك ، والوقوف على المسائل الجزئية في سياق رؤى ومناهج نظر كلية عملية منهجية يجب تدبر عناصرها ومساراتها .

وإذا كانت المنظومة المقاصدية في عناصرها السابقة توضح مفاصل فهمالوسط المحيط بالتفعيل للمدخل المقاصدي بصدد البحث في مسألة "تجديد جامعية الأمة " فإن الأمر يؤدي بنا ضمن هذه المنظومة لعمليات التفعيل والتشغيل إلى البحث في

الآثار المترتبة ، والمآلات للأفعال

والرؤية المستقبلية للعناصر السلبية

والإيجابية المتعلقة بوحدة الأمة وتفرقها .

إن ميزان المآلات السلبية والايجابية يتطلب قدرا من الاجتهاد المقاصدي يمكن تسميته المتابعة التي تخص " الاجتهاد المآلي ": .

من حيث النتائج

من حيث الآثار والتوابع

من حيث التأثيرات والفاعليات

من حيث رسم الخطط المستقبلية والاستراتيجيات

المآلات والأثار ارتباطا بالمقاصد الكلية العامة للأمة وعمليات البناء والاستنهاض الحضاري ، هو بحث متأن في هل تصب الأفعال والإدراكات والسياسات ونشاط المؤسسات ومنظومة العلاقات والتفاعلات في عافية الأمة كيانا وبقاء واستمرارا أم أنها تصب في الجهة المقابلة .

إن التعامل مع أثار السلبية والايجابية يجب أن يرتبط بمنظومة المقاصد الكلية العامة الجامعة .

إن الأمر هنا يتعلق بالبحث في الخطة المآلية التي ترتبط بعمليات جامعية الأمة والتقريب فيما بين عناصرها في إطار صياغة هذه العلاقات ضمن إطار "التدبير المآلي " الذي يدرس خريطة الآثار وتوقعها ، والموازنة بين البدائل والخيارات مرتبطة بمآلاتها وتأثيراتها المختلفة سواء كانت سلبية أو ايجابية .

وتقع خاتمة استراتيجية جامعية الأمة في الحديث عن الوسائل والآليات والمؤسسات والأبنية والأدوات

إن خاتمة هذه الثمانية بهذا الأمر الذي يتعلق بفكر الوسائل موصولا بأصول المقاصد إنما يحقق في العمل أصول ما يمكن تسميته بمقدمات الواجب (فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب) بالتعبير أ، لكل مقصد مقدمات ومقومات ، هذه المقدمات وهذه المقومات تقع في قلب فقه الوسائل الذي كان عدم الاهتمام به مدخلا لوهن الأمة وضعفها والطريق إلى إهانتها .

ومن هنا وجب علينا التعامل مع باب الوسائل والاليات في اطار يحفظ جامعية الأمة واعتصامها والأدوات والوسائل بحكم هذا الفقه الذي يعد بابا مهما من أصول الفقه الحضاري والعمراني إنما يشكل مدخلين مهمين :

الأول منهما يتعلق بالوسائل والآليات لمواجهة التحديات وتقديم الاستجابات والأمر الثاني يتعلق بالأدوات التي تعين على بناء الأمة وعمرانها في سياق يتكافل هذا النوع من الأدوات مع أخيه ليحقق عملا مثمرا يصب في عافية الامة وكيانها .

إن قدرة الأمة على أن تنتج أدوات لتجابه بها عناصر الضرر منعا ودفعا ورفعا إنما تؤكد على ضرورة تأما الادوات التني ترفع الفرقة وتدفع لانقسام وتحاصر التجزئة في المعتى والمبني في العقول قبل المؤسسات والعأرض والدول ، ويتلازم مع هذا النوع نوعا أخر من الوسائل والأدوات والأليات يتحرك صوب جامعية الأمة واعتصامها مكرسا لكل عناصر فاعليتها في البناء والأداء . بين هذا وذاك يجب أن يقطع الفقه هذا الطريق من الفرقة نحو الاعتصام ومن الاعتصام للقضاء على الفرقة ومواجهة كل القابليات من خلال الادوات والآليات لمواجهة لصناعة الفرقة في هذا المقام .

وغاية أمرنا في باب الوسائل أن نتحدث عن أدوات فكرية وأبنية مؤسسية وإجراءات وقواعد حركية يتم من خلالها تنفيذ السياسات وتطبيق الاستراتيجيات ، ومن جملة ما نقترحه في هذا هو التعرف على حال الامة من الفرقة واسباب ذلك ووسائله وعلى النهوض بهال لحال الاعتصام وفواعله

ومن هنا فإننا يمكن أن نصنف الوسائل التي يجب الاهتمام بها ضمن مشروع حضاري لنهضة الأمة وارتقائها إلى ثلاثة صنوف متكاملودة ومتكافلة :

الاول منها يعنى بالأدوات المنهجية والوسائل المعرفية

والثاني يتعلق بالابنية المؤسسية لاتي يمكن أن تقوم على مهمة هذه الجامعية فتدفع الأضرار النتعلقة بها وتجلب المصالح البانية لها

أما النوع الثالث من الوسائل والاليات فانه يقترن بقدرة الامة على التعامل تدريجا في تنفيذ سياساتها الجزيية وخططها الكلية بحيث يحقق التواصل بين الجزئي والكلي في عمليات التكامل والتفعيل والتشغيل ، وبما يؤصل معاني موصوله بفقه الحال وفقه المجال كعمليات مترابطة ومتصلة بفقه التنزيل

ضمن هذا الفقه المتعلق بالمدخل المقاصدي والفعل الحضاري الحافز لمعاني الأمة (في القصد) ، وجوهر جامعيتها (في الكيان والسياسات والمؤسسات والعلاقات)، فإن الوقوف عند الموازين والموازنات من أهم أبواب هذا المدخل نزن فيه كافة عوالم الأمة (عالم الأفكار ، عالم الأشخاص ، عالم الأشياء ، عالم الأحداث ، ..إلخ) من غير تحيزأو تعصب .

هذه الموازين إنما تتعلق بعالم مصالح الامة وأهم العناصر المهيئة والدافعة لجامعيتها واعتصامها وكذلك البحث في موازين الضرر لتحديد وتعين ما يضر هذه الأمة ويؤدي إلى تجزئتها وتفتيت كياناتها ونشر الفرقة والتنازع فيما بين بعضها البعض ، بحيث يشكل ذلك مفجرات لذلك الموقف الواحد القادر على تبني استراتيجية حضارية لمواجهة المشاريع الحضارية المختلفة التي تستهدف عالم المسلمين (الأمة بين مشروع الأمة الوسط والشرق الأوسط الكبير) ، هذه الموازين هي الضامنة للفعل العدل الرشيد القادر على صياغة علاقات الأمة في سياق يعتبر موازين موازين المصالح والأضرار ، بل إن على الأمة أيضا ان تتدبر وعيا وسعيا تلك الموازين

التي تتعلق بحال الضرورة فتزن كل أفعالها والمتفاعلين من خلالها في إطار العوالم المختلفة بحيث تهدف هذه الموازين إلى الحقيقة الجامعة للأمة وإلى تحقيق موازين الضرورة التي تتعلق بكيانها واستقرارها واستمرارها ونهضتها وارتقائها . هذه المداخل جميعا إنما تشكل حفزا لحقيقة إعادة صياغة العلاقات بين الأمة في إطار منظومة الموازين جميعا (الضرر . المصلحة . الضرورة) ليتأكد من خلالها قدرة هذه الأمة على رسم استراتيجيتها المستقبلية بما يضمن وحدتها وفاعليتها .

ومن هنا يبدو حال التفرق والتشرذم والتجزئة التي تعانيه الأمة يشكل مؤشرا أساسيا على أن هذه الأمة لا تعي حقيقة هذه الموازين تفعيلا وتشغيلا لمواجهة عالم تحدياتها أو للتعامل مع عالم قضاياها .

خاتمة التأصيل وفاتحة التفعيل والتشغيل :

الاجتهاد المقاصدى وجامعية الأمة وفاعليتها

في إطار ما تحدثنا عنه آنفا حول امكانية الاجتهاد المقاصدي أن يقدم رؤية تجديدية لمعاني جامعية الأمة في إطار يستثمر أصول دافعيتها وعناصر رافعيتها وحقائق جامعيتها وبلوغ مقاصدها وفاعليتها بما يحقق التغيير والاحياء والنهضة بحيث نقدم رؤية استراتيجية لتحقيق اعتصام الأمة وتكافلها ضمن مشروع حضاري ممتد في سبيل النهضة والتمكين.

ويوضح الشكل التالي هذه الرؤية التي تشكل الرابط بين تلك العناصر جميعا في سياق التجديد بالمقاصد خاصة أن الاجتهاد المقاصدي شكل منطقة غاية في الأهمية داخل الفكر الشيعي والسني على حد سواء ، ولا شك أن النظرة الايجابية لممارسة هذا الاجتهاد المقاصدي التي تجد أسسها في اجتهادات مقاصدية سابقة واحتهادات معاصرة إنما ترشح هذا المدخل التجديدي للقيام بدور محوري في عملية تحقيق جامعية الأمة واعتبار عملية التقريب واحدا من أهم مسارات تحقيق الجامعية ولكنها بمثابة المقدمة لعملية بناء مشروع حضاري عمراني للأمة .

ومن هنا يبدو لنا أن تلك الجهود فيما لو أحدثت تراكما في الوعي والسعي ستحقق لزوما وحدة الأمة وتماسكها في مقابل صناعة الفرقة والتجزئة والتبعية .إن مشروعا استراتيجيا كهذا إنما و الكبير .

يشكل أحد أهم عناصر مشروع نهضة الأمة ليتحقق بذلك مشروع الأمة الوسط في مواجهة مشروع الشرق الأوسط بوصفيه الجديد أو الكبير فإذا كان مشروع الأمة الوسط يشكل جوهر الجامعية والتكاملية في الأمة ضمن نموذج الأمة . القطب . الوسط فإنه يقع في مواجهة مشروع الشرق الأوسط الذي يقوم على فك وتركيب كيانات عربية وإسلامية مختلفة في محاولة لجعل التجزئة والفرقة مدخلا لتحقيق الهيمنة والسيطرة ، لسنا في حاجة إلى التوقف كثيرا عند هذا التحدي ولكن من الواجب الشروع في الاجابة على سؤال غاية في الأهمية إذا ما اتفقنا على أن كل أصولنا المرجعية تؤكد على وحدة الأمة واعتصامها وإئتلافها وتماسكها بما يؤكد أننا امام فرض من الفروض الاساسية التي تتعلق ببناء الأمة وعمارتها ، وأن المنهيات التي وجهت إلى عالم المسلمين منذ كانت الدعوة إنما تنهي عن كل فرقة وتنازع وتشتت .

نهج البلاغة فى منهج النظر للفرقة والجماعة : مدخل لجامعية الأمة وكشف الغمة:

ضمن هذا لابد وأن نتطرق إلى بعض ما يؤديه سيدنا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في حجية الاعتصام في مواجهة الفرقة ضمن كلام نفيس أورده في حال الفتنة وهو ما يؤكد على ضرورة الوعي لصناعة الاعتصام في مواجهة صناعة الانقسام .

المرجعية ووحدة الأمة

فإن الخلاف المورث للتنازع إنما لا يمكن إلتئامه بتصويب آرائهم جميعا " وإلههم واحد ونبيهم واحد وكتابهم واحد " يقول سيدنا علي (رضي الله عنه) " أفأمرهم بالاختلاف فأطاعوه ، أم نهاهم عنه فعصوه ، أم أنزل الله دينا ناقصا فاستعان بهم على اتمامه ..أم أنزل الله سبحانه دينا تاما فقصر الرسول صلى الله عليه وآله عن تبليغه وآدائه ، والله سبحانه وتعالى يقول (ما فرطنا في الكتاب من شئ) ، فيه تبيان كل شئ وذكر أن الكتاب يصدق بعضه بعضا وأنه لا اختلاف فيه فقال سبحانه " ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) .وإن القرآن ظاهره

أنيق وباطنه عميق ، لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ، ولا تكشف الظلمات إلا به "[1]

أساس الفرقة تفريق الدين

ويؤكد على حال الفتنة فيقول " والناس في فتن إن جذم فيها حبل الدين وتزعزت سواري اليقين واختلف النجر(النجر بفتح النون وسكون الجيم الأصل أي اختلفت الأصول فكل يرجع إلى أصل يظنه مرجع حق وما هو من الحق بشئ) ، وتشتت الأمر ، وضاق المخرج ، وعمي المصدر ، فالهدى خامل والعمى شامل ، عصي الرحمن ونصر الشيطان ، وخذل الايمان فانهارت دعائمه وتنكرت معالمه ودرست سبله ..أطاعوا الشيطان فسلكوا مسالكه ، ووردوا مناهله ، بهم سارت أعلامه وقام لوائه في فتن داستهم بأخفافها ووطئتهم بأظلافها .. فهم فيها تائهون حائرون جاهلون مفتونون[2] "

حال الفرقة بين الهلاك والنجاة

ويؤكد على ضرورة الخروج من هذه الحال التي لا يقبلها إنسان فيؤكد في خطبه له "أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة وعرجوا عن طريق المنافرة وضعوا عن تيجان المفاخرة ، أفلح من نهض بجناح ، ..ومجتني الثمرة لغير وقت ايناعها كزارع بغير أرضه[3] "

وفي لغة تحذيرية ينادي الناس بصفات تضاد الجامعية ، وجب الفطنة إليها لأن المقصود أن تحدث جامعية حقيقية لا متوهمة " أيها الناس المجتمعة أبدانهم ، المختلفة أهوائهم ، كلامكم يوهي الصم الصلاب ، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء.. أعاليل بأضاليل .. ولا يدرك الحق إلا بالجد[4]"

ويواصل وصفه لهؤلاء " ولكنكم نسيتم ما ذكرتم وأمنتم ما حذرتم ، فتاه عنكم رأيكم ، وتشتت عليكم أمركم[5]

إذ أنه " لا غناء في كثرة عددكم مع قله اجتماع قلوبكم[6]"

---

[1] نهج البلاغة ص55 ج1.
[2] المرجع السابق ، ص28 ،29 ج1
[3] المرجع السابق، ص40 ج1
[4] المرجع السابق، ص 73، 74ج1
[5] المرجع السابق، ص230ج1

" وطال الأمد بهم ليستكملوا الخزي ويستوجبوا الغير .. واستراح قوم إلى الفتن .. ولم يمنوا على الله بالصبر ، ولم يستعظموا بذل أنفسهم في الحق .. فرجع قوم على الأعقاب وغالتهم السبل ، واتكلوا على الولائج ووصلوا غير الرحم ، وهجروا السبب الذي أمروا بمودته ، ونقلوا البناء عن رص أساسه ، فبنوه في غير موضعه ، معادن كل خطيئة ، وأبراج كل ضارب في غمرة قد ماروا في الحيرة ، وذهلوا في السكرة على سنه من آل فرعون ، من منقطع إلى الدنيا راكن ثم يذكرهم بسوء عاقبة الاندراج في الفتنة ، أو مفارق للدين مباين[7] "

ثم يذكرهم بسوء عاقبة الاندراج في الفتنة " ..فاتقوا سكرات النعمة واحذروا بوائق النقمة ، وتثبتوا في قتامي العشوة ، واعوجاج الفتنة عند طلوع جنينها ، وظهور كمينها ، وانتصاب قطبها ومداري رحاها ، تبدأ في مدارج خفية ، وتؤول إلى فظاعة جلية..تتوارثها الظلمة بالعهود ، أولهم قائد لآخرهم ، وآخرهم مقتد بأولهم ، يتنافسون في دنيا دنية ، ويتكالبون على جيفة مرّيحة ، عن قليل يبرأ التابع من المتبوع ، والقائد من المقود . فيتزايلون بالبغضاء ، ويتلاعنون عند اللقاء ، ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف ، وتزيغ قلوب بعد استقامه وتضل رجال بعد سلامة ، وتختلف الأجواء عند هجومها وتلتبس الأراء عند نجومها ، من أشرف لها قسمته ، ومن سعى فيها حطمته .. تغيض فيها الحكمة وتنطق فيها الظلمة ..وتثلم منار الدين وتنقض عقد اليقين[8]"

ومن هنا بدا الإمام علي يؤكد على المقارنة بين البصير وبين الأعشى العامل بغير علم في وقت الفتنة فإنه لا تؤتى البيوت إلا من أبوابها " فمن آتاها من غير ابوابها سمي سارقا[9]"

" ..فإنما البصير من سمع فتفكر ، ونظر فابصر ، وانتفع بالعبر ثم سلك جددا واضحا أي طريق يتجنب فيه الصرعة في المهاوي والضلال في المغاوي ، ولا يعين على نفسه الغواة بتعسف في حق ، أو تحريف في نطق ، او تخوف من صدق[10]"

---

[6] المرجع السابق، ص232 ج1
[7] المرجع السابق، ص37 ج2
[8] المرجع السابق، ص38 ، 39 ج2
[9] المرجع السابق، ص44 ج2
[10] المرجع السابق، ص 41 ، 42 ج2

" وناظر قلب اللبيب به يبصر امده ، ويعرف غوره ونجده داع دعا وراع رعا ، فاستجيبوا للداعي واتبعوا الراعي[11]"

أما من " خاضوا بحار الفتن وأخذوا بالبدع دون السنن .. ونطق الضالون المكذبون نحن الشعار والأصحاب والخزنة والأبواب ..لا تؤتى البيوت غلا من أبوابها فمن أتاها من غير أبوابها سمي سارقا[12]"

"فالناظر بالقلب العامل بالبصر يكون مبتدأ عمله أن يعمل عمله عليه أم له فإن كان له مضى فيه ، وإن كان عليه وقف عنه ..فإن العامل بغير علم كالسائر على غير طريق ، فلا يزيده بعده عن الطريق إلا بعدا من حاجته .والعامل بالعلم كالسائر على الطريق الواضح ، فلينظر الناظر أسائر هو أم راجع ؟ وأعلم أن لكل ظاهر باطن على مثاله ، فما طاب ظاهرة طاب باطنه ، وما خبث ظاهره خبث باطنه .. واعلم أن لكل عمل نباتا وكل نبات لا غنى به عن الماء ، والمياه مختلفة .فما طاب سقيه طاب غرسه وحلت ثمرته ، وما خبث سقيه خبث غرسه وأمّرت ثمرته[13]"

وطيب السقية من زرع الجماعة وغرس الاعتصام وبذر التعاون والائتلاف ، وما أقسى من هؤلاء مما يعدون من لصوص الدين يسرقون منه ما يجمعهم ويفرضون عليه من تأويلهم ما يفرقهم ، فطلبوا الفرقة لا الجماعة وتركوا الجماعة لا الفرقة ، وسموا ذلك للأسف الشديد طاعة كأنهم يفعلون حين ينهون ويمتنعون حين يؤمرون أفترقوا بعد ألفتهم وتشتتوا عن أصلهم.

ويؤكد على سبيل النجاة محذرا ومؤكدا " فإياكم والتلون في دين الله ، فإن جماعة فيما تكرهون من الحق خير من فرقة فيما تحبون من الباطل ، وإن الله سبحانه لم يعطي أحدا بفرقة خيرا ممن مضى ولا ممن بقى[14]"

عبرة الأمم في الفرقة والجماعة

" واحذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثلات بسوء الأفعال وذميم الأعمال ، فتذكروا في الخير والشر أحوالهم واحذروا أن تكونوا أمثالهم ، فغذا تذكرتم في تفاوت حاليهم

---

[11] المرجع السابق، ص43 ج2
[12] المرجع السابق، ص44 ج2
[13] المرجع السابق، ص 44- 45 ج2
[14] المرجع السابق، ص96 ج2

فالزموا كل أمر لزمت العزة به شأنهم ، وزاحت الأعداء له عنهم ، ومدت العافية فيه عليهم ، وانقادت النعمة له معهم ، ووصلت الكرامة عليه حبلهم من الاجتناب للفرقة واللزوم للألفة ، والتحاض عليها والتواصي بها ، واجتنبوا كل أمر كسر فقرتهم ...فانظروا كيف كانوا حيث كانت الأملاء مجتمعة والاهواء متفقة والقلوب معتذلة والأيدي مترادفة ، والسيوف متناصرة ، والبصائر نافذة والعزائم واحدة . ألم يكونوا أربابا في اقطار الأرضين وملوكا على قلوب العالمين . فانظروا إلى ما صاروا إليه في آخر أمورهم حين وقعت الفرقة ، وتشتت الآلفة ، واختلفت الكلمة والأفئدة ، وتشعبوا مختلفين ، وتفرقوا متحازبين ، قد خلع الله عنهم لباس كرامته وسلبهم غدارة نعمته . وبقى قصص أخبارهم فيكم عبرا للمعتبرين[15] "...أذل الأمم دارا ، وأجدبهم قرارا لا يأوون إلى جناح دعوة يعتصمون بها ، ولا إلى ظل ألفة يعتمدون على عزها فالأحوال مضطربة ، والأيدي مختلفة ،والكثرة متفرقة[16] "

وقوع الاختلاف لايمنع من ضرورة إدارته والخروج من الخلاف الى الإئتلاف

أما إذا كان من بد من وجود الاختلاف فإن سيدنا علي ينبه إلى وجه يتعلق بإدارة الاختلاف ، لا ما يؤدي إلى تأجيجه أو إلى إثارته لمزيد من الفرقة والتنازع " إني أكره لكم أن تكونوا سبابين ، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم ، كان أصوب في القول وأبلغ في العذر وقلتم مكان سبكم إياهم . اللهم احقن دماءنا ودماءهم ، وأصلح ذات بيننا وبينهم . واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به[17] "

أى النجدين يصب فى عافية الأمة :الوحدة والاعتصام أم الفرقة والانقسام ؟ :

عود على بدء : مصر وإيران :

تعتبر مصر وإيران من دول الأركان في أي بناء استراتيجي او توجه نحو بناء المواقف والقدرات المتكاملة والمتكافلة بحيث تمثل أحد مداخل الاستجابات الواعية لمواجهة التحديات التي تترى على الأمة ، ومن هنا فإن عملا ثقافيا وتربويا من الأهمية القيام به وعليه في إطار التدريب الواعي على فنون "الاختلاف" وفنون

---

[15] المرجع السابق، ص 152ج2

[16] المرجع السابق، ص 153 ج2

[17] المرجع السابق، ص 185 ، 186 ج 2

"الائتلاف" على حد سواء ، ومن ثم فإن جهود التقريب التي انطلقت من زمن مبكر من مؤسسة الأزهر تشكل إمكانية لاستمرارية هذه الجهود على المدي المتوسط والطويل بحيث تشكل البنية التحتية لاعتصام الأمة وتعبئة قدراتها بما يحقق هذا في إطار تجميع المصالح وامكانات تبادلها بدلا من تناقضها وتصارعها ، "بناء المصالح" "واحد" من أهم الأهداف المشتركة التي يجب أن تؤسس على قواعد ثقافية وتربوية واجتماعية واقتصادية وسياسية بما يحقق " التجديد التفعيلي " على الأرض وبما يصب في عافية الأمة وكيان وجودها وحركة استمرارها ونهوضها وعمارتها وارتقائها . هكذا نستطيع أن نرصد إمكانات النموذج المقاصدى فى تحقيق جامعية الأمة ضمن هذا الشكل :

المجالات	الأولويات	الحفظ	الموازين	الواقع	المناطات	المآلات	الوسائل والآليات
جامعية الدين	ضرورات الجامعية فى الأمة	الأبتداء	الضرر (منع/دفع/رفع)	أصول فهم واقع الجامعية و الأمة	بناء السياسات	الحال	آليات منع الفرقة
جامعية النفس		البقاء		البعد الإنسانى	تسكين الجزئيات	المجال الآثار المآل	آليات بناء الاعتصام
جامعية النسل	الحاجات الجامعية	البناء	بناء المصالح	البعد المكانى	تحريك المنظومات	الاستقبال	الوسائل و الأدوات الفكرية
جامعية العقل		الأداء		البعد الزمانى	تحرى المناهج	الفاعلية و محكاتها	الأدوات و الأبنية المؤسسية
جامعية المال	التحسينيات التكميلية	النماء و الأرتقاء الأنتهاء	أحكام الضرورة و أعتصام الأمة	إمكانات التدارك مواجهة التحديات	التعامل المناطى (التفكير التدبير التغيير التأثير)	الاستجابات النقد الذاتى التجدد الذاتى	التطبيقات و عمليات التنزيل و مقدمات الواجب

ويطول بنا المقام لو تطرقنا الى مداخل أخرى يمكن أن تحقق تكاملا مع هذا المدخل المقاصدى ،فمن القضايا المهمة التى ترتبط بمناهج التجديد فى جامعية الأمة وتأسيس البنية التحتية والفكرية لاستراتيجية التقريب هى الوصل التأصيلى بين مدخل المقاصد من جهة ، ومدخل السنن من جهة أخرى ، والمدخل السفنى المستند الى الحديث النبوى فى عملية الاستهام على سفينة تؤكد على وحدة الوجهة والمسار والمصير والعاقبة بما تؤكده من ضرورات تسهم فى بناء وحدة الأمة وتؤسسس لمناط فاعليتها من جهة ثالثة .

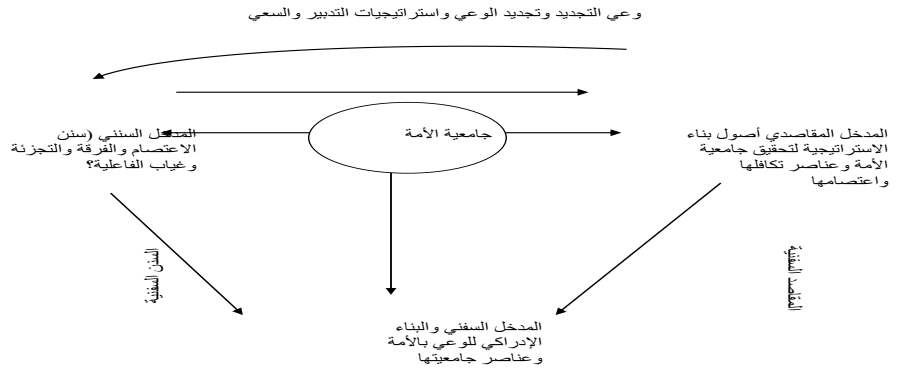

إن جهود التقريب ليست مجرد مناسبات للقاء ولكن يجب أن تكون ضمن تصور استراتيجى يحقق جامعية وفاعلية الأمة ، وتأهيلها لمعانى الرافعية للنهضة ، والدافعية لعمرانها ، وبناء المصالح المشتركة والمتبادلة بحيث تتحرك صوب تأسيس ذلك كواجب وقت يلتزم فى القيام عليه جملة الثوابت والكليات ، وهو مادعانا الى ضرورات استثمار وتفعيل وتشغيل المدخل المقاصدى وغيره من مداخل كلية فى تجديد الخطاب الدينى بنية وأداء ،على أن تكون عملية التجديد هادفة الى تحقيق غاية ومقصد استراتيجى من مثل الحفاظ على جامعية الأمة وفاعليتها
وتستأنف أدوارها الحضارية ومكانتها ، وعلى مصر وكذلك إيران أن تباشر كل فاعلياتها للقيام بهذا الدور الحضارى والاستراتيجى فى آن واحد .

والله ولى التوفيق .